بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني حول الوضع العربي الراهن

السلم لن يتحقق الا باستعادة فلسطين عربية ديمقراطية
رحلة السادات امتداد لسياسة
في خيانة المصالح الوطنية للشعب المصري والمصالح القومية العربية
نظام النميري شريك تابع لمحور
الرياض - القاهرة المعادي للثورة

اصدر الحزب الشيوعي السوداني بيانا هاما في اذار الماضي ، عرض فيه بشكل شمولي الاوضاع الراهنة في المنطقة العربية والشرق الاوسط ، وحدد المهمات الملحة كما يراها ، وفي طليعتها توسيع اطار جبهة الصمود وتعزيز الحريات الديمقراطية في الوطن العربي .

وبالنسبة للسودان ، دعا الحزب الى قيام جبهة سودانية واسعة تناضل ضد « ديكتاتورية نميري الدموية » .

القسم الاوسع من البيان في الصفحات التالية :

بزيارة السادات للقدس المحتلة ، وما تلاها من تطورات ، اكتملت في الساحة العربية ملامح فترة سياسية جديدة .

لم تكن تلك الزيارة مبادرة مستقلة من السادات كما يدعي ، وانما كانت دوره المرسوم في عملية خاصة خططت لها امريكا ، ونفذتها بمشاركة عدد من الدول ، لتجاوز العقبات والعثرات التي عطلت مخططها المثابر منذ يونيو ١٩٦٧ لاستكمال هزيمة العرب العسكرية بهزيمة سياسية شاملة . لقد ضاقت الامبريالية الامريكية باستماتة الشعوب العربية في مقاومة الهزيمة وتنامي التضامن العالمي مع نضالها العادل ، وتزايد عزلة الكيان الصهيوني وافتضاح تأييد امريكا وتشجيعها لعدوانه واحتلاله للارض العربية . وارادت الحكومة الامريكية بضربة واحدة، ان تتجاوز تلك المقاومة وتلتف على تردد السلطة السورية وتسويفها في سلوك طريق التسوية الانهزامية وكل العوامل الاخرى التي عاقت قيام جبهة عربية صريحة تساند تلك التسوية. وكان من الطبيعي اختيار السادات . فهو اصدق معبر عن الفئات الرأسمالية المصرية التي استمالتها التكنيكات الامريكية منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، تلك الفئات النهمة المتحرقة الى تعويض ما فاتها والمستعدة لارتكاب اية خيانة وطنية وقومية في سبيل تحقيق اطماعها والتي فتح لها السادات بانقلابه في ١٥ مايو ١٩٧١ م سبيل السيطرة التامة على اجهزة وادوات الحكم في مصر ،من بيروقراطية عسكرية ومدنية ومؤسسات سياسية واقتصادية واعلامية .

وكان حساب الخطة الامريكية ان يختل توازن الشعوب العربية تحت وطأة رحلة مستخذية للارض المحتلة يقوم بها رئيس لمصر بكل موقعها المهيمن على جبهة المواجهة ضد العدو وبكل وزنها السياسي والتاريخي ، فتفقد اتجاهها وتسقط في مهاوي اليأس وتترك التسوية الانهزامية تمر دون مقاومة . ومن ثم لم يكن هدف رحلة السادات كسر حاجز نفسي مزعوم لدى العدو الصهيوني ، بل كسر حاجز الاحجام عن مواجهة الشعوب العربية بخيانة بهذا الحجم وتنفيذ المخطط الامريكي بعملية خاطفة حاسمة .

ونظمت اجهزة الاعلام المصرية والامبريالية والتابعة حملة واسعة منسقة ، عكست كثافتها واتصالها ليل نهار ادراك منظميها لهشاشة وركاكة وابتذال المبررات التي ساقوها للتمويه على الشعوب العربية والرأي العام العالمي بان حل الصراع العربي الصهيوني واقرار السلام لم يكن ينقصهما سوى الاتصال المباشر والتفاوض بين الحكام العرب وقادة اسرائيل . ولكن الحملة، التي انحدرت الى مخاطبة احط الغرائز ، لم تخرج عن اطار الجهود الامبريالية الصهيونية طيلة ثلاثين عاما لكسر معنويات - الشعوب العربية وتشكيكها في جدوى نضالها وتضحياتها وعدالة قضيتها وحتمية انتصارها .

المسألة ليست قبول التفاوض او رفضه ، فالتفاوض اسلوب معروف وممارس في حل الخلافات والنزاعات ، حين تتوفر له ظروفه وشروطه ، ولكن ماذا وراء هذا التفاوض الذي تدفعه امريكا ويصفه السادات بالاسلوب « المختصر » ؟ هناك عدو يغتصب الارض العربية ويحتلها ، اساسا بتحريض ودعم الولايات المتحدة سياسيا وعسكريا، وهناك نقص - معلوم الاسباب - في القدرة العربية على هزم هذا العدو . وعندما يعلن السادات في ظل هذه الظروف ، ومن منبر المحتل الغاصب ، انه لن تكون حرب خامسة فذلك لا يعني سوى انه استسلم تماما وانه يتفاوض فقط حول الشكل الذي تتم به عملية الاستسلام .

ولا يأتي السادات بجديد حينما يعلن استحالة قيام مصر تحت رئاسته بحرب خامسة ، فتلك هي النتيجة الطبيعية والمنطقية لكل سياسته التي قامت على تصفية الخط الوطني لعبد الناصر، وتخريب العلاقات المصرية السوفييتية وحرمان الجيش المصري من مصدر التسليح والتدريب الذي هيأه لدوره البطولي في حرب اكتوبر ، ونشر الانقسام في صفوف القوى الوطنية والتقدمية العربية والمشاركة في التآمر عليها وضربها ، واجهض السادات حرب اكتوبر وتعهد في اتفاق سيناء بعدم اللجوء الى القوة ضد العدو الصهيوني، وقبل قاعدة احتلال امريكية للانذار المبكر تغطي كل الارض العربية المحيطة به . وحول السادات - الجيش المصري من مهمته التحريرية ليجعل منه اداة لقمع انتفاضة شابا في زائير وتهديد الثورة الاثيوبية والاعتداء على ليبيا وحماية تسلط نميري الدموي على شعبنا ، بل ولقمع الشعب المصري نفسه كما حدث في انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ م .

سياسة السادات

ان رحلة السادات للقدس المحتلة وتفاوضه مع العدو وما يعلنه من تنازل اثر تنازل ليس سوى امتداد وتتويج لمجمل سياسته التي قامت على خيانة المصالح الوطنية للشعب المصري والمصالح القومية العربية والتنكر لنضال وتضحيات الشعوب العربية عبر عشرات الاعوام، والتواطؤ مع الامبريالية الاميركية والمؤسسة الصهيونية للتسليم باغتصاب فلسطين والاعتراف بشرعية الكيان الصهيوني وقبوله في قلب الارض العربية اداة سياسية وعسكرية لتهديد وابتزاز شعوبنا وسط السيطرة الامبريالية عليها واعاقة نهوضها ضد هذا المخطط الكالح .

ان سياسة السادات هذه ، والتي ظلت وما تزال تنفذ تحت ضغوط امريكية وصهيونية وسعودية ، جزء من مخطط شامل لاخضاع البلدان العربية للامبريالية ولاحتكاراتها ولفرض طريق الرأسمالية والتبعية على شعوبها ، فالمؤامرة على لبنان ، وضرب الثورة العمانية واغتصاب الصحراء الغربية ، والعدوان المصري على ليبيا ومشاريع امن البحر الاحمر والخليج العربي ، ومعاهدة الدفاع المشترك بين السادات ونميري ، واضطهاد القوى الوطنية والتقدمية في البلدان العربية ، ومصادرة حقوقها وحرياتها وتنظيماتها ، وغير ذلك من مظاهر الهجمة المعادية للثورة ، كلها عناصر مترابطة متكاملة لمخطط واحد ، يترابط بدوره - وبتكامل مع مخطط اوسع يغطي - بجانب البلدان العربية ، منطقة شمال وغرب المحيط الهندي ، وشرق ووسط وجنوب القارة الافريقية . وهي منطقة شديدة القرب من الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى ، وتعج بثورات اجتماعية في فترات متقدمة من تطورها . وفي باطنها الثروات الطبيعية الهائلة ، وتمر بها الخطوط الجوية والبحرية والبرية ذات الاهمية البالغة الحيوية التجارية ومواصلات العالم كله .

خلال الاعوام الماضية ، وخاصة منذ هزيمة العدوان الامريكي في الهند الصينية والاستعمار البرتغالي في افريقيا ، شهدت هذه المنطقة نشاطا امبرياليا كثيفا : فقد اتسعت عمليات الشركات الاحتكارية وبالدرجة الاولى الاحتكارات متعددة القوميات ، وضاعفت ارباحها الاستنزافية الفاحشة ، ودعمت الدول الامبريالية الكبرى وجددت قواعدها العسكرية الذرية والتقليدية في المحيط الهندي ومداخله وتعددت انتهاكات هذه الدول لسيادة شعوب المنطقة لفرض الحكومات العميلة وحرف النظم الوطنية عن مسارها المستقل وتصدير الثورات المضادة وتصفية الاحزاب والمنظمات والقيادات الثورية وقمع الحركات والانتفاضات الشعبية .

ووضعت في التطبيق فكرة كيسنجر القائلة بانه في ظروف التوازن العالمي الراهن وتعاظم القدرة العسكرية السوفييتية ، فقد صار مستحيلا على امريكا والدول الامبريالية الاخرى ممارسة عدوانها السافر او فرض سيطرتها المباشرة على الشعوب ، ومن ثم اصبحت في حاجة لان تصنع لنفسها ادوات تؤدي عنها هاتين المهمتين في شكل تجمعات سياسية اقتصادية عسكرية من الدول الرجعية التابعة لها ، تمدها بالسلاح والدعم السياسي . وخلال العام الماضي شهد العالم قيام قوات مغربية ومصرية وسودانية بقمع انتفاضة شابا لحساب امريكا وفرنسا وبمساعدتهما العسكرية والمالية والسياسية . وتنفذ الان حكومات الصومال وايران والسعودية ومصر والسودان الخطة الامريكية لضرب الثورة الاثيوبية وامام اعيننا يتشكل في منطقتنا تجمع سياسي اقتصادي عسكري رجعي ، بقيادة الحكام السعوديين ، بتولي تنفيذ عمليات لحساب الامبريالية في البلدان العربية والافريقية . وتربط هذا التجمع وشائج وثيقة بايران وبتجمعات رجعية مماثلة في مناطق اخرى من العالم . وتحيط بمنطقتنا وتقوم في داخل عدد من بلدانها - وبينها مصر (سيناء) والسعودية والمغرب وعمان والبحرين وجيبوتي - القواعد العسكرية الامريكية والفرنسية والبريطانية على اهبة الاستعداد للانتقال من الدعم الى التدخل المباشر اذا اقتضى الامر .

بكل هذا ترمي الامبريالية الى بسط سيطرتها الاقتصادية والسياسية على المنطقة والى استخدامها - تحت راية العداء - للشيوعية وللسوفييت - في بعث الحرب الباردة وتعكير العلاقات الدولية بهدف تغيير توازن القوى لصالحها واستعادة مواقعها المفقودة . ولكن هذه الاستراتيجية تواجه الفشل المحتم . فالامبريالية فقدت الى الابد زمام المبادرة ، ولن تستطيع قط ان تقلب مسار البشرية الموضوعي نحو الانعتاق من الاستغلال والقهر الطبقي والقومي .

شروط السلم

ومن جهة اخرى فان التسوية التي تسعى

قوى الرأسمالية والتبعية استبدلت شعار الوحدة العربية بالتضامن المطاط والنزعات الانفصالية والانعزالية

الامبريالية الامريكية لفرضها تتناقض جملة وتفصيلا مع الحقوق التاريخية والطبيعية للشعوب العربية ومن ثم فهي تحمل في باطنها ، مثل كل التسويات المفروضة في التاريخ ، عناصر انفجارات اشد هولا على السلم في المنطقة والعالم .

ان السلام لن يتحقق الا بوقف تدخل الامبريالية ، وخاصة الامريكية ، في شؤون شعوبنا ودعمها للكيان الصهيوني ، واستعادة فلسطين دولة عربية ديمقراطية يتساوى فيها اهلها من عرب ويهود في الحقوق والواجبات .

ان الخيبة الماحقة ستكون مآل المخطط الامبريالي ضد الشعوب العربية مهما اصابت من نجاحات مؤقتة . فالاهداف والمطامع التي تناضل هذه الشعوب لبلوغها ليست رغبات ذاتية لحزب او قائد ، بل هي اهداف ومطامح تكمن حتمية انتصارها في موضوعيتها وتاريخيتها . وشعوبنا ، فوق ذلك ، تختزن تراثا غنيا من الخبرات في النضال ضد اعدائها الخارجيين والداخليين ولها حركة تحررية ناضجة ، ولها نظم وطنية واحزاب وجبهات ثورية وتنظيمات جماهيرية ذات تقاليد نضالية راسخة .

بيد ان الاوضاع الجديدة التي عبرت عنها رحلة السادات للارض المحتلة ستترك بالضرورة اثرها على اشكال واساليب النضال اللاحق لحركة التحرر العربية . فنحن هنا لسنا امام مجرد عمل منفرد اخر او خيانة اخرى ، من احد الحكام العرب ، ولكننا امام فترة جديدة ظلت قسماتها تتشكل طيلة سنوات عديدة حتى اسفرت عن ملامحها الكاملة برحلة السادات . ومهما كانت نتائج هذه الرحلة ، ومهما احاط بها من شد وجذب ، ومن عثرات حقيقية ومفتعلة ، فان الاوضاع التي سبقتها لن تعود ذلك ، اننا في الواقع امام ترتيب جديد في مواقع القوى الطبقية والاجتماعية له اسسه واسبابه المادية .

في خلال السبعينات ، وبصفة خاصة بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ م وارتفاع اسعار النفط عالميا ، مارست الدوائر الحاكمة في الدول البترولية الرجعية تأثيرا متزايدا على الحياة الاقتصادية والسياسية العربية . كما اتسع في نفس الوقت نشاط الاحتكارات الامبريالية في العديد من البلدان العربية ، بعد اعلانها « الانفتاح الاقتصادي » سياسة لها . وتلعب الاموال البترولية ، واساسا السعودية والكويتية ، دورا مميزا في هذا النشاط سواء بالمشاركة المباشرة في استثماراته او بكونها الممول الاول - حاليا للمصارف والاحتكارات الامبريالية الكبرى .

وتحت تأثير ودفع هذه العوامل ، نمت مواقع الرأسمالية في البلدان العربية . وظهرت النتائج حادة في مصر ، وبصورة اقل حدة في سوريا . ولكن هذه العملية تجري وان كانت بدرجات ونتائج متفاوتة في كل البلدان العربية بما فيها النظم الوطنية كما يتأثر بها شعب فلسطين ، رغم ظروفه الراهنة .

تأثير نمو مواقع الرأسمالية

لقد ادى نمو مواقع الرأسمالية في هذه الظروف الى نشوء فئات اجتماعية تتشابك مصالحها تشابكا وثيقا مع مصالح الاحتكارات الامبريالية واصحاب الاموال البترولية . ومن الطبيعي ان يشمل هذا التشابك مصالح المؤسسة الصهيونية التي لا يمكن فصلها عن المصالح الامبريالية، هنا الاساس المادي للتبعية ، وتصالح بعض فئات البرجوازية الوطنية مع الامبريالية والرجعية ، والاضطراب الذي اصاب مؤخرا نشاط مكتب مقاطعة اسرائيل ، وشعارات دمج « العبقرية اليهودية » بالاموال والكثافة السكانية العربية ورحلة السادات للقدس المحتلة، وهناك الاساس المادي لنشوء محور الرياض القاهرة المعادي للثورة ، والذي يتلقى وينفذ اوامر واشنطن . وسلطة الردة السودانية شريك تابع في هذا الحلف ، يمنحها الحماية السياسية والعسكرية والمالية . وهنا « السر » وراء تأييد